تاريخ المسيح

ومنشأ الديانة المسيحية

عدنا الى اتمام هذا الكتاب الذي بدأنا به منذ السنة الثالثة للجامعة . فقد لخصنا في تلك السنة (تاريخ المسيح) ولسنا ننسى حياتنا كلها اللذة التي وجدناها في ذلك التلخيص ولا الضرر الروحي الذي جره على نفس الملخص . وقد اتبعنا في تلخيصنا الطريقة التي سنتبعها في ما يلي وهي ترك كل ما يؤلم نشره ولا يفيد والاقتصار على ما يفيد من المسائل الاجتماعية والتاريخية التي تفسر نشأة الديانة المسيحية وتوضح حالة ذلك العصر الذي عاش فيه السيد المسيح وتلامذته دون ان نتعرض للمسائل الدينية بنفي او اثبات لان ذلك ليس من وظيفة الجامعة ولا تبحث فيه اصلاً . فالمسيحي وغير المسيحي يقرأ ان هذا التلخيص دون ان يجدا فيه ما يؤلم او يسوء . نعم انه مأخوذ مما كتبه الفيلسوف العلامة رنان خليفة افلاطون في الارض في عذوبة المعاني والالفاظ ورنان كتب في كتبه ما يسوء المسيحيين ولكن الجامعة كما قالت تسدل على هذه الكتابة التي تسوء ستار النسيان قصداً لكراهتها الدخول في المسائل الدينية كما تقدم . وانما غرضها تاريخي اجتماعي محض . ولسنا نجد ما يؤدي الى هذا الغرض في بسط احوال ذلك العصر القديم العظيم غير ما كتبه رنان عنه .

وقد انتهينا في تلخيص ما تقدم الى حادثة استشهاد اسطفانوس في (تاريخ الرسل) واليك التتمة

تأثير شهادة اسطفانوس

كان لرجم اسطفان تأثير عظيم على الطائفة الاولى . وقد احتفل ابناؤها بجنازته احتفالاً قرنوه ببكائهم ونحيبهم . فانفتحت بهذا الموت طريق (الاستشهاد المسيحي) الجديدة . نعم ان ابناء الديانة اليهودية كانوا في زمن انطيوخس ابيفانيوس يثبتون في معتقدهم حتى الموت . ولكن الشهداء المسيحيين الذين كانوا يقبلون الموت بشجاعة ومسرّة وأولهم اسطفانوس كان لهم تأثير خاص على العقل البشري في الارض . فانهم بهذه الاستماتة والشجاعة ادخلوا الى العالم الغربي

عنصراً كان ينقصه اعني (الايمان الخاص المطلق) الذي لا يخاف ولا يتغير والناشيء عن الاعتقاد بانه لا يوجد الا دين واحد صحيح فاضل وهو الدين الذي يدينون به . فمن هذا الوجه كان الشهداء أول من بدأ بايجاد طور التعصب وعدم التساهل . فانه قد يكون صحيحاً قولهم ان الذي يبذل دمه في سبيل ايمانه متى حُكّم وتسلط لا يكون متساهلاً . والمسيحية التي اجتازت ثلاثمائة سنة وهي تعاني آلام الاضطهاد أصبحت هي نفسها تضطهد اضطهاداً لم يضطهده دين غيرها حين صارت السلطة اليها . فان الانسان اذا بذل دمه في سبيل مبدأ لتأييده لا يُحجم عند الضرورة عن سفك دم غيره لحفظ هذا المبدأ وصيانته

ولم يكتف اليهود يومئذ برجم اسطفانوس بل شرعوا باضطهاد الطائفة المسيحية كلها اضطهاداً عمومياً . وكان جل اضطهادهم موجّهاً الى (اليهود اليونانيين والوثنيين) الذين دخلوا في المذهب المسيحي الجديد . فكان لهذا الاضطهاد تأثير مفيد على الطائفة . ذلك لانه اضطرّها الى التفرّق والتفكير في الخروج من اورشليم لحمل مذهبها الى باقي البلدان وذلك لعجزها عن الاقامة به في اورشليم . أي ان الاضطهاد اضطر المسيحيين الاولين الى جعل المسيحية (عمومية) بعد ان كانت خصوصية

الصلة بين كنيسة اورشليم والبحر المتوسط

فتفرق التلامذة وفروا من وجه اليهود . وكان فيلبس من اكثرهم تحمساً فسافر الى السامرة وعمد فيها كرنيليوس قائد المائة . وقد قال ان ملاكاً اوحى اليه ان يفعل ذلك . ثم سافر الى ازوت ومنها اتجه الى الشمال فبشر بالكلمة في كل الشاطئ حتى قيصرية حيث انشأ كنيسة هامة

وكانت قيصرية مدينة جديدة وكان لها المنزلة الاولى بين مدن اليهودية (١)

(١) يوسيفوس الفصل ٣ و ٤

وقد بناها هيرودس الكبير على آثار قلعة صيداوية كانت تُدعى (برج عبد سترات أو ستراتون) ودعاها (قيصرية) نسبة الى اوغسطس قيصر وما زالت تسمى بهذا الاسم حتى اليوم . وكانت أفضل وأهمّ موانئ فلسطين وكانوا يتوقعون ان تصبح عاصمة لها كلها . وكان الولاة الرومانيون قد سئموا المعيشة في اوروشليم فعزموا على الاقامة فيها (١) وكان معظم سكانها من الوثنيين (٢) ومع ذلك فكان عدد اليهود كثيرًا فيها وكان ينشأ بين الفريقين من حين الى حين نزاع وصدام (٣) وكانت اللغة المحكية عندهم اللغة اليهودية وكان اليهود انفسهم يصلون بعض صلاتهم بها (٤) وكان الكهنة في اوروشليم يعدّون قيصرية مكانًا دنسًا ويرون لليهودي خطرًا في الاقامة فيها لئلا يصبح وثنيًا . فلهذه الاسباب كلها سيكون لهذه المدينة اهمية عظمى في تاريخنا هذا لانها كانت الصلة الاولى التي اتصلت بها الكنيسة الاولى بالبحر المتوسط وما حوله من المدن والامم

وقد أُرسلت رسالات أُخرى مجهولة الى جهات أُخرى غير رسالة فيلبوس . وكانت السرعة التي أُنفذت بها السبب في نجاحها فلم تمضِ خمس سنوات على صلب المسيح (أي في سنة ٣٨) وسنة واحدة على رجم اسطفانوس حتى كانت جهات فلسطين فيما وراء الاردن قد سمعت كلمة البشارة من افواه المرسلين الذين سافروا من اوروشليم . ومن جهة أُخرى فان بلاد الجليل كانت تحفظ في قلبها البزور المقدسة وربما كانت تنشرها حولها وان كنا لا نعلم انها أرسلت ارساليات منها . وكان في دمشق في هذا الزمن مسيحيون (٥) فربما كان دخول المسيحية اليها بواسطة مرسلين من بلاد الجليل

وهنا وصلنا الى بولس (شاول) واضطهاده المسيحيين ثم دخوله في مذهبهم . والتتمة في الجزء التالي

---

(١) اعمال الرسل الفصل ٢٣ والمؤرخ تاسيت الفصل ٢ (٢) يوسفوس الفصل ٣ و٤
(٣) يوسفوس الفصل ٢٠ (٤) تلمود اوروشليم (٥) اعمال الرسل الفصل ١١ العدد ٩